**جيوش لبنان انقسامات وولاءات»: قصة عسكريين مغامرين [ 1/3]**

**كتب للمؤلف نقولا ناصيف**



*يروي كتاب «جيوش لبنان، انقسامات وولاءات» للزميل نقولا ناصيف قصة انشقاقات الجيش اللبناني في سني الحرب، في خمسة فصول تتناول جيش لبنان العربي (1976)، وطلائع الجيش العربي اللبناني (1976)، والالوية التي قادها اللواء سامي الخطيب (1988 ــــ 1989)، وصولا الى جيش ما بعد اتفاق الطائف. خيط واحد يجمع ما بين المحطات هذه هو الدوران الفلسطيني والسوري في صنع الانشقاقات تلك في سياق نزاع سياسي كان العسكريون وقوده، فاذا التسويات السياسية تضعهم على الهامش. يقول ناصيف في مقدمة الكتاب انه يحمل «تجارب واحداثاً مهمة في تاريخ الجيش، كان وراءها، كما في مقدّمها، مغامرون، او محظوظون، او شجعان، او متهوّرون، او مسكونون بمخيّلات لا قعر لها، لكنهم ايضا منقادون الى ادوار عمياء. لكل منهم جزء من الاحداث والسياسات والقرارات». ولاسباب تقنية حُذفت الهوامش المرافقة للفصول المنشورة.
تنشر «الاخبار» حلقات ثلاثا من فصول فيه اليوم وغدا وبعد غد. ويوقع ناصيف الكتاب في المهرجان اللبناني للكتاب الذي تقيمه الحركة الثقافية ــــ انطلياس في كنيسة مار الياس انطلياس، الاثنين 6 آذار، من السابعة حتى التاسعة مساء*

مذ اطلق انشقاقه، عدّ احمد الخطيب جيش لبنان العربي جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية بزعامة كمال جنبلاط، منادياً بمواقفها ومشاركاً ميليشياتها في الصدامات العسكرية مع الطرف الآخر.

تدريجاً لمس ان كلاً من الاحزاب الرئيسية فيها، العلمانية كالحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث بشقيه العراقي والسوري، وذات المنحى الطائفي كالحزب التقدمي الاشتراكي والمرابطون والتنظيم الشعبي الناصري، يريد جيش لبنان العربي اداة عسكرية له، متجاهلاً الاقرار به حالاً مستقلة موازية في الصراعين السياسي والعسكري. اراد كل منها الانشقاق مكمِّلاً لميليشياه. كل منها يقود تنظيماً مسلحاً يفتقر الى ضباط ورتباء وعسكريين وخبراء مجرّبين يقودون الاعمال الحربية.

بسبب نفوره التقليدي من الجيش، ويقينه من انه يمثّل عصب الزعماء الموارنة، رمى جنبلاط بداية الى استقطاب العصيان اليه. لكن لم يرضه اجتذاب الخطيب شريحة واسعة من السكان في الجنوب والبقاع وصولاً الى قسم من الجبل

على طرفي نقيض منها، اعتقد احمد الخطيب بأنهم حلفاء له وشركاؤه في التفاوض السياسي ايضاً. يفسحون له مكاناً عندما يحين اوان قطف الثمار كي يجني بدوره حصته. لم يتصرّف كقائد جيشه فحسب، يكتفي بالهجمات والاشتباكات العسكرية، بل اطلق مواقف سياسية ومفاهيم ومبادىء عقائدية لم تتعارض مع ما قال به رؤساء الاحزاب تلك. بيد انهم لم يستسيغوا الى جانبهم قائداً سياسياً اضافياً.
كانت التجربة الاكثر امتحاناً للتقييم المتناقض للتحالف بين احمد الخطيب والحركة الوطنية، علاقته بكمال جنبلاط. فور اعلانه انشقاقه، علّق الزعيم الدرزي ان الرجل يمثّل "ظاهرة صحية تستحق الدرس". استخدم العبارة مجدّداً في "قمة عرمون" التي جمعت في 30 كانون الثاني 1976 رئيس الحكومة رشيد كرامي والمراجع الدينية والزعماء والقيادات الاسلامية مع وفد سوري برئاسة عبدالحليم خدام. في الاجتماع قال نائب وزير الدفاع رئيس استخبارات الجو اللواء ناجي جميل للحاضرين ان سوريا لا تقبل بأن يستدرجها ملازم الى مواجهة مع اسرائيل، ليست مستعدة لها. اضاف: هذا الضابط يجب ان يُعاقب.

تحفّظ عن هذا الطلب مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد، مضيف الاجتماع في بيته، وكمال جنبلاط الذي كرّر وصف الانشقاق بالظاهرة. في الايام التالية راح يتحدّث عن"حركة القائد احمد الخطيب"، مشيداً بها وقد وصفها ــــ مرة اخرى ــــ بـ"ظاهرة صحية سليمة ومبادرة تهدف الى تصحيح اوضاع الجيش". مذذاك اظهر دعمه العلني لها رغم معرفته بالامتعاض السوري من نشوئها، ودور حركة فتح في اطلاقها.

لم يعنِ جيش لبنان العربي له سوى ظاهرة تولدت من ردّ فعل على انحياز المؤسسة العسكرية. لم يبصرها ايضاً مكوّناً رئيسياً في الحركة الوطنية شأن الاحزاب ورؤسائها القابضين على القرار، بل حسبها آلة عسكرية ليس الا. بدا بذلك اقرب الى تبريرها منه الى الدفاع عنها واحتضانها.
لم يُبدِ في الغالب حماسة لدعمه، ولم يتردّد ــــ حيال صعوده المفاجىء وانفلاشه غير المتوقع في مناطق واسعة من الجنوب والبقاع في اسابيع قليلة ــــ في استدعاء احد ضباطه هو ابراهيم شاهين لحضه على اقناع احمد الخطيب بعدم الانتقال وجنوده الى الجبل خشية "تهشيل المسيحيين". نجم حذره، من دون تجاهل الاهتمام الضمني به، من ان صاحب الظاهرة الذي يتطلع الى دور وحضور سياسيين، يتحدّر من شحيم، الواقعة في صلب النفوذين الانتخابي والسياسي للزعيم الدرزي في اقليم الخروب في الشوف الاوسط. اوحى احمد الخطيب، وقد اكثَرَ من تنظيم مهرجانات ولقاءات شعبية في مسقطه، ورفع صوره وشعاراته على الجدران واجتذاب السكان السنّة اليه، بوضع موطىء قدم سياسية صلبة لا تقتصر على البلدة والمنطقة فقط، بل تجعله وجهاً لوجه مع احزاب محترفة ومخضرمة حيث تكون. رؤساؤها متمرسون وذوو قواعد شعبية متينة.

 (...) لم يقلل ذلك من اعتقاد الضابط المنشق بأن كمال جنبلاط ينظر اليه بتعالٍ، مهتماً بالظاهرة وفي الوقت ذاته مبصراً قائدها في حجم ادنى مما منحه لنفسه صاحبها. لفتته نظرته الى عائلته على انها من اتباعه ليس الا، ناهيك بأن اباه زين وعمّه انور منتسبان الى حزبه. افصح عن هذا الجانب لقاء في منزل ربيع الخطيب، نجل انور الخطيب، في بيروت جمع كمال جنبلاط واحمد الخطيب توخى المصارحة بينهما. ما يرويه ان الزعيم الدرزي "لم يُخفِ مكنونات قلبه، مذكّراً بدعمه عائلة الخطيب، وكيف انني لم احفظ الجميل وتنكّرت له وحاولت جمع الناصريين في كتلة واحدة، خصوصاً ابراهيم قليلات عن المرابطون والاتحاد الاشتراكي العربي ــــ التنظيم الناصري وقوات ناصر لاقصاء الحزب التقدمي الاشتراكي، ولمّح الى الوضع الطائفي والمذهبي كأنني استهدف الطائفة الدرزية".
اقتضب خاتمة الاجتماع بالقول: "انتهى اللقاء العاصف بالتكاذب وغسل الالسن دون القلوب".
بسبب نفوره التقليدي من الجيش ونظرته اليه بريبة وشكوك، ويقينه من انه يمثّل عصب الزعماء الموارنة وقوتهم وبابهم على التشبّث بالنظام ورفض اصلاحه، رمى كمال جنبلاط بداية الى استقطاب العصيان اليه وطمأنته الى تأييده ورعايته له ووقوفه الى جانبه. لم يرضه اجتذاب احمد الخطيب شريحة واسعة من السكان في الجنوب والبقاع وصولاً الى قسم من الجبل، قبل ان يحاول التمدّد الى هذه المنطقة حتى، مستفيداً من التعاطف الشعبي. بدا جيش لبنان العربي زعامة طالعة تتجاوز دورها حركة انشقاق على قيادة اليرزة الى الاضطلاع بموقع سياسي مستقل، غذّتها المواقف التي راح قائدها ــــ مأخوذاً بتصدّره صفحات الجرائد ــــ يطلقها يومياً حيث يطأ التمرّد.



**صورة من محضر اجتماع باللواء حكمت الشهابي، بخط اليد، عن سبل مواجهة انقلاب العميد اول الركن عزيز الاحدب | للصورة المكبرة**[**انقر هنا**](http://www.al-akhbar.com/sites/default/files/pdfs/20170302/doc20170302.jpg)

بعثت بضعة لقاءات عقدها مع كمال جنبلاط الشكوك في نفسه، عندما لاحظ محدّثه يتعمّد حصر علاقته به كأداة عسكرية يقاتل بها خصومه، من دون ان يكون شريكه في التفاوض السياسي كمحسن ابراهيم وجورج حاوي وانعام رعد وابرهيم قليلات. بَالَغَ الضابط المنشق ــــ الكثير العجلة الى دور ومكانة سياسيين يكرّسانه لاعباً رئيسياً ــــ في مخاوفه حينما ساوره قلق من ان الزعيم الدرزي يتوجس من شعبية متنامية يحوزها جيش لبنان العربي، الى ان عَامَ النفور بينهما اكثر من مرة، حتى كان خلاف اقرب الى الافتراق بين الرجلين، عندما انشأ كمال جنبلاط في 22 تموز 1976 ادارة مدنية محلية في مناطق سيطرة الحركة الوطنية سُمّيت المجلس السياسي المركزي لاحزابها. دعاه على الاثر الى دمج جيش الانشقاق في هذا المجلس، فتحفّظ اعتقاداً منه بأنه يتقصّد تذويبه فيه وافقاده هويته، ومن ثمّ كيانه المستقل.

اعراباً عن رفضه هذا الخيار، حمل الرائد حسين عواد الى رئيس الحكومة رشيد كرامي قلق جيش لبنان العربي من نشوء ادارات محلية، طاوياً موقفاً مماثلاً للإمام موسى الصدرٍ. شكا له من تأهب ميليشيات الحركة الوطنية للافادة من توسّع انتشارها بتكريس سيطرتها، عبر سلطة بديلة من دولة توشك على الانهيار تماماً.
في زيارتيه رشيد كرامي ــــ وكان وصفه كمال جنبلاط باستمرار "شخصية تقليدية غير قابلة للتحريك" ــــ في 8 آب 1976 و13 منه، تناول حسين عواد محاولة الزعيم الدرزي "الاستيلاء على السلطة فعلياً". اطلعه على معلومات ووقائع متوافرة عن ادوار تتحضّر الحركة الوطنية للاضطلاع بها، منبّهاً اياه الى انها "احالت الجنوب إمارات: منظمة العمل الشيوعي في بنت جبيل، الحزب الشيوعي اللبناني في مرجعيون، الحزب التقدمي الاشتراكي والحزب السوري القومي الاجتماعي والجناح العراقي في حزب البعث في المناطق الاخرى". حدّثه عن "تحويل الميليشيات الى جيش تحرير شعبي، والشروع في انشاء الادارة المحلية والتهجم على الشخصيات الاسلامية وتقليل اهميتها ودورها". وفي انتقاد مباشر الى كمال جنبلاط، لم يتردّد في القول انه "يسخّر المقاومة لخدمة طموحات شخصية غير مشروعة، ومحاولة احتواء جيش لبنان العربي والقول بأن السلطة تهاجمه"، بينما لاحظ ان المقاومة الفلسطينية "في وضع سياسي يجبرها على السكوت". حمّل رئيس الحكومة كذلك "المسؤولية عن الارواح والكرامات والمصير"، وهو يحضه على الاستعانة بـ"قوة تنفيذية لأن المسؤولية لا يمكن ان تكون شكلية".
رغب احمد الخطيب في ان يستمر جسماً منفصلاً بازاء شركاء المواجهة ضد عدو واحد، وان يكون جيشه حليفاً موازياً لا جزءاً من كل. يقاسمهم الاعباء العسكرية والمكاسب السياسية، ويجلس واياهم متكافئين في المكانة والدور الى طاولة واحدة. في المقابل حرص كمال جنبلاط على مطالبته دائماً بالتزام قرارات الحركة الوطنية، فراح يجيبه احمد الخطيب بلا تردّد: انا ذراعها العسكرية.
سأله ايضاً هل يبدو واثقاً من انه قام بثورة، فردّ: لا. لا استطيع القيام بثورة لأن لا اتصال لي بالعسكريين وقِطع الجيش. يمكن ان تسمّي ما فعلت التحاق عسكريين بي. انتفاضة او انقلاب. لكن ليس ثورة.
لم يكن من السهل اهمال التباعد بين جيش لبنان العربي والحركة الوطنية، ولا كذلك ما يشيعه احدهما عن الآخر من انتقادات واتهامات وتشهير مضمر. لم يسع اي في احزاب الحركة الوطنية الى تقليل تأثير حركة فتح على احمد الخطيب الذي راح في اجتماعاته بها يتصرّف بغطرسة. ابصر نفسه قائداً سياسياً مقدار ما يملك ان يأمر بضعة آلاف عسكريين ومدنيين. اوحى لرؤساء الاحزاب تلك انه يوازي كمال جنبلاط وياسر عرفات، وله ان يتجاهل سواهما حتى، على انه اضحى الحاجة الملحة التي يتطلّبونها منه. اقلقهم ايضاً ان الاستقطاب الشعبي الذي يحوزه في مناطق تمدّده تجني حركة فتح ثماره اكثر منها الاحزاب اللبنانية.
رمى ياسر عرفات ــــ وهو يبصر الخلاف بين مَن يعدّهما حليفيه ــــ الى توجيه الانتباه نحو مسار آخر يجعله، في الظاهر على الاقل، على الحياد كي لا يغلّب احدهما على الآخر. وازَنَ بينهما، وتوخى ادماج جيش الانشقاق في صلب سلطة القرار السياسي في الحركة الوطنية، لا على هامشها.
كاشف القائد الفلسطيني، في 15 تموز، كمال جنبلاط لدى اجتماعه به في منزله في المصيطبة، في حضور رؤساء الاحزاب، بضرورة "توضيح العلاقة بين الحركة الوطنية وجيش لبنان العربي لئلا يكون هناك التباس، خصوصاً في هذه المرحلة حيث نشاط كبير للاستخبارات السورية والاجنبية. نفوس تأثرت بالاشاعات. الثقل الكبير هو في الحاجات الضرورية. 40 يوماً تمثّل قدرة فائقة للناس على الاحتمال. بعد عودتي من الخارج لمست شروخاً. اذا لم نصلحها، فان الفئات الاخرى ستستفيد منها. هل ان جيش لبنان العربي جزء من السلطة السياسية؟".
ردّ كمال جنبلاط في دفاع مبكّر عن الادارة المحلية، مستبقاً الاعلان عنها رسمياً الاسبوع التالي في 22 تموز. شرح دورها ومهمتها وهيكليتها، قائلاً: "كنا ننتظر انتهاء هذه الاحداث بسرعة. عندما هُدمت هيكلية المؤسسات وفواجع انتشار الجريمة، لأن العنف يجلب الجريمة، لم نكن نودّ ان نظهر اننا نريد التقسيم. لا بد من مواجهة مسؤولياتنا، خاصة اذا دامت هذه الاحوال الى حد القلق، فأنشأنا الهيئة الشعبية للمشاركة مع الادارة المحلية وهيئات اخرى. نظّمنا بعد حوادث صوفر مجموعة من المكاتب تضم بين 200 او 300 شخص حتى يفرزوا 480 سجيناً بين سارق ومجرم. معظم البيوت نهبت، وهناك مشاكل ناتجة عن الاحزاب. الجيل الطالع نصفه سارق. تمكّنا من اعطاء وجه لاطائفي لها".

لفت الى ان "السلطة السياسية هي الجبهة التي تتمثّل فيها كل الاحزاب والقوى الوطنية ومن ضمنها جيش لبنان العربي، والقيادة السياسية هي المرجع الاعلى في المناطق الوطنية"، في معرض حضه الحاضرين على دعم انشاء مجلس سياسي مركزي تتمثّل فيه الاحزاب وتلتزم برنامجها المرحلي، واخرى محلية منبثقة منه تتولى تلبية حاجات المواطنين في نطاق ادارة مدنية تحل محل مؤسسات الدولة بعد تفككها وانهيارها.
اضاف ردّاً على الرائد حسين عواد الذي دعا الى مساندة رئيس الحكومة رشيد كرامي: "الخليفة يحتاج الى مسمّى، لكن السلطان عبدالحميد خُلِع. هكذا حال الخليفة عندنا. هيئة مسؤولة تحرّك الجهاز. اذا لم يأتِ نعيّن واحداً محله. قد نضطر الى تجاوز حرفية القانون للتمكن من تطبيقه. اذا لم توجد قوة رادعة من خارج الدرك، لا يمكن القيام بشيء. نسمّي القوة الرادعة قوة طوارىء، والا فان البلاد ستفلت من ايدينا. شمعون يقول ان المشاكل ستنتهي في آذار".
حسين عواد، وكان حاضراً موفداً من احمد الخطيب: "لنعطِ كرامي فرصة للتحرّك ونقوم بحوار مع هذا الرجل".
ثم عقّب: "انا جيش لبنان العربي ولست جيشاً ميني. لستُ ذراع الحركة الوطنية، ولست جيش الحركة الوطنية. لي شخصية مستقلة".
ياسر عرفات: "صراحة حسين مهمة، وانا اشكره على هذه الصراحة. سيكون هناك ازدواج في الولاء. ينبغي وضع هذا الكلام في الذهن. هل تستطيع الحركة الوطنية اعطاء جيش لبنان العربي ولاءً واحداً؟".
كمال جنبلاط: "هناك ثنائية في وضعكم. ما يجمعكم بالحركة الوطنية اربعة بنود. اولها الولاء للمبادىء التي تؤمن بها هذه الحركة، فيها شيوعيون لا اؤمن بما يؤمنون به، وفيها كذلك قوميون، لكن البرنامج المرحلي يترجم الحدّ الادنى. ثانيها النضال الى جانب الحركة الوطنية. ثالثها المشاركة في التكوين السياسي الموقت، وهذا الجيش يأتمر بأمر هذا الجهاز. رابعها في حال عودة الشرعية الى ممارسة صلاحياتها يصبح جيش لبنان العربي جيش كل لبنان".
حسين عواد: "اوافق على البنود 1 و2 و4. اما البند الثالث فندرسه في مجلس القيادة لاتخاذ القرار المناسب".
كمال جنبلاط: "كجيش لبنان العربي، مررتم في مرحلة متأخرة من النضال. كوّنتم هيكلاً من خارج الحركة الوطنية مع ايمانكم بمبادئها. الحركة الوطنية قاتلت بمئات من الناس، فتكوّنت ميليشيات الاحزاب. عندنا آلاف الشباب يريدون ان يشكّلوا القوة المقاتلة الرئيسية. لم تشكّلوا انتم هذه القوة. بدأنا من 13 شهراً بـ100 ليرة للعازب و150 ليرة للمتأهل. الجندي لا يرضى. لكن الفرق ان الميليشياوي غير خاضع للانضباط ويأتي باندفاع منه".
اضاف: "هناك الوف من الشباب المقاتلين في الجبل، 4000 من الحزب الاشتراكي وانصاره. نحن في حاجة الى قادة وتنظيم. هناك فرق بين ضابط يقود وبين رجل ميليشيا.

أخفق الخطيب في اقناع جنبلاط والحركة الوطنية بالتعامل معه كزعيم سياسي وليس قائداً عسكرياً ينفّذ الاوامر. وفي بضع مرات لمس استخفاف جنبلاط به «نظراً الى رتبتي المتدنية، وهو القائد الذي يقود ضباطاً من رتبة عميد وما دون»
انتبه الفريق الماروني قبلنا، فاستعان بضباط من الجيش اللبناني على رأس مجموعات، وهم الآن في طور تكوين جيش تحرير شعبي. بات يُحسب لقدراتهم الهجومية حساب. اما نحن، فلم نصل الا الى مرحلة دفاعية فقط، ولسنا راضين عنها. يجب تعزيز هذه الطاقة، ولذلك نحن في حاجة الى ضباط. اول مَن نصحنا بذلك حكمت الشهابي. هم شنّوا 52 هجوماً، بينما لم يكن في استطاعتنا نحن سوى شن هجوم واحد. ساعدنا الضباط على تدريب هذه القوى وضبطها. لو كان في امكانكم وحدكم ملء الفراغ كنا تركناكم. من اجل ذلك ننظم الميليشيا".
قال ايضا: "هناك اتفاق مع دول عربية على الحصول على سلاح متطور لمواجهة الكتائب التي اصبحت قوة هجومية يُحسب لها حساب. ليس لدى جنود الجيش اللبناني الحالي الروح القتالية. انتقلت العدوى من الميليشيا الى الجندي لأن ليس هناك توجيه قومي. ابوعمار ما اعطانا الطحين الكافي".
ياسر عرفات: "عندي وما عطيتكش يا كمال بك".
كمال جنبلاط: "انا اطلعكم على الجو النفسي. نريد المصلحة العامة. الحاجة هي التي تجعلنا نقول لكم اسمحوا لنا بالضباط. من الصعب على عقيد او عميد ان يخدم تحت إمرة ملازم اول. لا بد من حل هذه المشكلة. انا جاهز لمساعدتكم على ان يعود الشباب. هناك عسكريون في بيوتهم ينتظرون. الاشخاص في الخدمة لا يخدمون تحت سلطة الاحتياط (في إمرة زين الدين). الحاجة تجعلنا نتوجه الى فلان او علان، وننتظر سواء عادت الدولة ام لم تعد، وسواء بقي السوريون في لبنان ام لا".
اضاف: "ربحنا على السوريين في صوفر. 45 شخصاً اوقفوا 70 دبابة. هذا غير معقول. معركة صيدا كذلك. كان للمقاومة الفضل الاول. لعبنا صولداً في صوفر. لعبنا بالماضي والحاضر والمستقبل السياسي. قسم من الضباط لا يريد المغامرة مع جيش لبنان العربي، ولا مع الحركة الوطنية. لديهم شعور عربي. كل هذه المسائل تشكّل موانع. اذا حُلّت عقدة النجوم قد يكون هناك حل. هناك فكرة اعطائه (احمد الخطيب) منصباً سياسياً وتعيين قائد جديد من اجل الاستقطاب. من الصعب توقّع مستقبل لجيش لبنان العربي. للتراتبية اهمية كبيرة".
اخفق احمد الخطيب في اقناع كمال جنبلاط والحركة الوطنية بالتعامل معه كزعيم سياسي يفاوض ويحاور ويجني الثمار، وليس قائداً عسكرياً فحسب يناور وينفّذ الاوامر ويخسر ويُقتل عسكريوه في ارض المعركة. في بضع مرات لمس استخفافه به "نظراً الى رتبتي المتدنية، وهو القائد الذي يقود ضباطاً من رتبة عميد وما دون".

جريدة الأخبار

سياسة

العدد ٣١١٧ الخميس ٢ آذار ٢٠١٧

**جيوش لبنان، انقسامات وولاءات»: قصة عسكريين مغامرين [ 2/3]**

*تنشر «الأخبار» اليوم حلقة ثانية في فصل انقسام الجيش اثنين عامي 1988 ــــ 1989، ولأسباب تقنية حُذفت الهوامش المرافقة للفصل. ويوقع ناصيف الكتاب في المهرجان اللبناني للكتاب الذي تقيمه الحركة الثقافية ــــ انطلياس في كنيسة مارالياس انطلياس، الاثنين 6 آذار، من السابعة حتى التاسعة مساء*

مستوحياً نصيحة حكمت الشهابي عندما قال له "كي تنجح في مهمتك على رأس قيادة الجيش، من الواجب مراعاة نبيه برّي ووليد جنبلاط والاخذ في الاعتبار ما يريدانه، من دونهما ستواجه صعوبات، هما حليفانا الرئيسيان وارى ان تتعاون معهما"، عزز سامي الخطيب اتصالاته بهما، متوقّعاً وقوفهما الى جانبه وتسهيل قيادته الجيش البديل من خلال الرجلين الاقرب اليهما: الدرزي العقيد رياض تقي الدين، والشيعي العميد لطفي جابر وكان لا يزال يشغل عضوية المجلس العسكري المجمّد الدور والالتئام بصفته مديراً عاماً للادارة، فأضحى بالصفة نفسها جزءاً لا يتجزأ من ادارة الالوية الغربية، مع ان رئيسه المباشر هو وزير الدفاع وليس قائد الجيش.

عملاً بهذا المنصب، عاين لطفي جابر ــــ وكانت المديرية العامة للادارة استقرت بأجهزتها وعديدها في احد مباني وزارة التربية في قصر الاونيسكو ــــ الحاجات التي افتقرت اليها الالوية الغربية، وهي التغذية والبزات والطبابة والعتاد وصرف الموازنة المخصصة لها الواقعة تحت رقابته، قبل ان يذهب الى سامي الخطيب يقول له: انا معك في انشاء هذا الجيش. لكن مَن سيدفع نفقاته ومِن اي موازنة، ومِن اين ستصرف الاموال؟ مَن سيُطعم العسكر؟
قال لنبيه برّي الكلام نفسه عندما استمزجه رأيه في تجميع الالوية الغربية: كمدير للادارة انا جاهز للتعاون. لكن ذلك لا يكفي. يقتضي الحصول على توقيع وزير المال. مدير الادارة مسؤول عن اعاشة العسكريين وتغذيتهم وتأمين رواتبهم وطبابتهم وعتادهم وتجهيزاتهم، وانا مَن يأذن بشرائها. لكن من اين المال؟
ذكّر سامي الخطيب بأن سليم الحص، رئيس الحكومة وزير المال بالوكالة، رفض تعيينه قائداً للجيش بالتكليف بمرسوم، وفضّل الاكتفاء بقرار يصدره الوزير المختص.
قال له: إئتِ لي بتوقيع وزير المال. اضغطوا على سليم الحص. من دونه لا جدوى لأي معاملة اعدها. هو مَن يُطعم العسكر لا انا.

رغم الدعم والتأييد السياسيين اللذين محضاه اياه، نظر نبيه بري ووليد جنبلاط بحذر الى قيادة سامي الخطيب. وأشعراه بتأثيرهما الفاعل في قلب القيادة، اذ تحوّلا مرجعية اللواءين السادس والحادي عشر

لطفي جابر احد ثلاثة ضباط شيعة بارزين واسعي التأثير في بيروت الغربية، يدينون بالولاء المطلق لنبيه برّي، ولا يتخذون موقفاً او ردّ فعل قبل العودة الى رأيه. الآخران هما قائد اللواء السادس العميد عبدالحليم كنج ورئيس اركان اللواء المقدّم عصام عطوي. قبل التحاقهما بقائد الجيش بالتكليف، اجتمعا برئيس حركة امل الذي اعلن للتوّ استعداده للتعاون. استمر نفوذ نبيه برّي طاغياً على اللواء السادس ذي الغالبية الشيعية، يمثل مظلة سياسية صلبة له رغم انقضاء سنوات على انتفاضته المسلحة على الجيش في 6 شباط 1984، وطردها اياه من العاصمة. في ظل قيادة ميشال عون ما بين عامي 1984 و1988، لبث الرجل صاحب الكلمة الفصل في تحريك اللواء السادس الذي اعيد إلحاقه ــــ كما سائر الالوية المنشقّة آنذاك ــــ بالقيادة الأم الجديدة. لم يكن في الامكان تعيين قائده، ورئيس اركانه، وقادة كتائبه، دونما العودة حتماً اليه. ما لبث ان وجد سامي الخطيب نفسه يجبه المشكلة نفسها: ليس هو آمر اللواء السادس.
رغم الدعم والتأييد السياسيين اللذين محضاه اياه، نظر نبيه بري ووليد جنبلاط بحذر الى قيادة سامي الخطيب. الا انهما اشعراه بتأثيرهما الفاعل في قلب القيادة، اذ تحوّلا مرجعية اللواءين السادس والحادي عشر اللذين يمسكان ببيروت الغربية ومخارجها الى الجنوب والبقاع، ناهيك بالامتداد الطبيعي الذي يصلها بجبل لبنان الجنوبي.
محتفظين بترسانة ضخمة من السلاح والعتاد والمقاتلين، لم يكن في حسبان اي احد توقّع اقدامهما على اخلاء العاصمة ومناطق نفوذهما في الجبل والجنوب والبقاع لقيادة لم تعنِ بالنسبة اليهما ــــ وإن انبثقت من قرار دمشق ــــ سوى ردّ فعل، وظيفتها في الاصل اولاً ودائماً التشهير بشرعية ميشال عون على رأس قيادة الجيش وتقويضها. كذلك عدّا استمرار حكومة سليم الحص تقويضاً لشرعية ترؤسه حكومة عسكرية انتقالية. لم تكن القيادة البديلة للجيش هدفاً في ذاتها، بل احدى وسائل الضغط لمهمة موقتة في توقيت محدّد تُطوى صفحتها على الاثر. ظلت قيادة اليرزة الهدف المقصود. توخى نبيه برّي ووليد جنبلاط من الوظيفة تلك المنوطة بسامي الخطيب ان تكون: سياسية اكثر منها عسكرية، رمزية اكثر منها واقعية. لملمة قوى الجيش في بيروت الغربية والمحافظات واعادتها الى ثكنها، واعادة تدريبها وتأهيلها الى حين استخدامها في مواجهة الفريق الآخر. الا ان القرار العسكري، تحت مظلة القوات السورية، يقيم بين ايديهما فقط، وقد ذابت من حولهما الميليشيات والشلل المسلحة الصغيرة بما فيها الميليشيا السنّية المرابطون، بعدما تناوب الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة امل على تصفيتها عام 1985.
كانت لسامي الخطيب، في المقابل، وجهة نظر معاكسة تماماً، هي انه قائد فعلي لجيش يريد ان يأمره ويبسط سيطرة جنوده حيث يكون. على نحو كهذا، افصحت حوادث شتى عن تفاقم الصراع على السلطة على الارض والتنافس، كما إمرة الالوية الغربية. بدا له انه يواجه عدواً في الخارج هو ميشال عون، واكثر من خصم في الداخل ــــ جميعهم حلفاء لسوريا ــــ كنبيه برّي ووليد جنبلاط والاحزاب العقائدية وسليمان طوني فرنجيه تحت جناحي جده الرئيس السابق للجمهورية مذ استقبل بفتور تعيين ضابط سنّي في منصب يشغله عرفاً ضابط ماروني.
زاره قائد الجيش بالتكليف في 23 تشرين الثاني 1988 على رأس الضباط الكبار في اركان الالوية الغربية، في زغرتا ظهراً، بعد تفقدهم ثكنة بهجت غانم في طرابلس واجتماعهم بعمر كرامي. ببرودة لافتة وكثير من الاستخفاف استقبلهم الرئيس السابق الذي لم يُخفِ عدم ترحيبه بهم، بعدما تطلّب الحصول منه على موعد وقتاً طويلاً والاستنجاد بوساطة بغية تخطي مماطلته.
بعدما شرح له مهمته التي وصفها ببعد وطني ترمي الى اعادة وحدة الجيش، قائلاً انه لم يشأ هذا المنصب "كي تُعزَف لي تحية السلاح"، ردّ سليمان فرنجيه بتهكم بادٍ: انت قدموا لك السلاح، بينما انا عزفوا لي النشيد الوطني. هذا آخر ما يعنيني.
لم يُعِر حديث سامي الخطيب اهتماماً، وانصرف عنه الى الكلام مع الياس سابا صديقه ووزير اولى حكومات عهده عام 1970، وكان حاضراً المقابلة.
خلافاً لما اعتاد عليه ــــ هو المفطور على حسن الضيافة والكرم ــــ لم يدعُ زواره الى الغداء الى مائدته، وتذرّع بانشغاله بموعد لاحق كي يحيلهم على نجله قائد ميليشيا المردة روبير فرنجيه للاجتماع به.
ثم انهى المقابلة على نحو اقرب ما يبدو الى طرد.
لم يتعدّ الكلام مع نجل الرئيس السابق المجاملات واحاديث عابرة، دونما الحصول على تأييده.
في طريق العودة الى بيروت، قال نبيه فرحات لسامي الخطيب في السيارة التي اقلتهما، من دون ان يخفي إمارات الامتعاض والاستياء من المعاملة السيئة تلك: هذا الرجل لا يعترف بقائد للجيش لا يكون مارونياً.
في 30 ايلول 1989 قصد رئيس الاركان السورية العماد حكمت الشهابي في مكتبه، وفاتحه في عصيان رئيس اركان اللواء السادس المقدّم عصام عطوي، وتمرّده على قرارات قيادته وتدخّله في تشكيلات قرّرتها، اضف رفضه لها واختباءه وراء حركة امل. في شكواه، اتهمه بخطف احد ضباط فرع الامن العسكري في مديرية المخابرات الرائد سهيل حماد في وضح النهار، ووضعه في صندوق سيارة "على مرأى من الجميع والتأثير السلبي لما حدث على معنويات ضباط قيادة الجيش والاجهزة الباقية التابعة لها".
بعد اربعة ايام كتب الى حكمت الشهابي يكرّر معاناته من المشكلة نفسها ويطلب تدخّله مجدّداً، ويلوّح في الوقت نفسه باحتمال تخليه للمرة الاولى عن منصبه. روى في رسالته جوانب من تمرّد عصام عطوي "الذي يرفض التعاون مع اركان الجيش ويرفض الاعتراف اساساً بهذه القيادة التي اخذت منه القرار العسكري المنفرد، وراح يتهم الاركان بتهم شتى اهمها الولاء لميشال عون حتى يبرّر عصيانه وتفرّده".

لاحظ ان ضابط اللواء السادس "يعمل على توظيف بعض اجنحة حركة امل لمساندة تمرّده على القيادة"، وتدخّله في تشكيلاتها من دون ان يكون صاحب صلاحية، متحدّثاً ايضاً عن اعمال اراد بها "ارهاب القيادة مستعيناً بعناصر من حركة امل"، كي يستنتج من افعال عصام عطوي "ان ثمة قرار عصيان عسكرياً عبّر عنه امام ضباطه بأنه يقود ثورة بيضاء من ضمن القيادة. طبعاً لا نعلم لماذا؟ ولا نعلم حجم انحرافنا الذي يدّعيه وتغطية حركة امل له الذي هو بيت القصيد. وهذا ما لا استطيع مواجهته بمفردي، كما لا ارغب في ذلك. حركة امل عنصر اساسي في الصف الوطني المواجه لعون وإن نظرياً. انا مدرك حرصكم على الاستاذ نبيه برّي وحركته، ولا اريد ان اربككم في عملية قد تشقّ الصف الوطني كله في هذه الايام العصيبة، انما لا يمكن ان اقبل بالاستمرار في قيادة تملى عليها القرارات من ضباط وحركة سياسية حليفة او غير حليفة، ولا في قيادة لا تستطيع حماية ضباطها جسدياً على الاقل، ولا يمكنها ان تؤمن لهم السقف السياسي الذي يحميهم، ولا في قيادة لا يمكنها تشكيل ضابط من دون موافقة محمود ابو حمدان او عصام عطوي او اكرم شهيب او جورج حاوي او سليمان طوني فرنجيه".
بعدما عَكَسَ فيها ليس عجزه عن مواجهة الخصوم هؤلاء فحسب، بل كذلك منعهم من التدخّل في قيادته وقراراتها، وقد اضحت فاقدة الدور والجدوى، امل من حكمت الشهابي في مساعدته على "جلاء موقف حركة امل من قيادة الجيش على نحو نهائي وحاسم، والا فأنا مضطر لتقديم استقالتي من قيادة الجيش متمنّياً تكراراً تفهّمي وعذري".
كانت الذريعة المقابلة لعصام عطوي ان سامي الخطيب، خلافاً لتقليد متبع، لم يستمزج قيادة اللواء السادس في تشكيلات تتناول كتائبها، اجراها وأمر بتنفيذها للفور، فحيل دونها. من بينها تبديل كتيبة منوط بها الدفاع عن المطار، يُعهد في مهمتها في الغالب الى اللواء السادس، كي يحل محلها عسكريو لواء آخر. اثمر مسعى حكمت الشهابي تدخّل علي حمود، مساعد غازي كنعان المقيم في بيروت، زائراً سامي الخطيب ثم توسّطه لجمع القائد الرئيس بالضابط المرؤوس في حضوره وتذليل الخلاف.
على نحو لم يُعطَ اياه سامي الخطيب اذ وجد نفسه محاصراً بحكومة سليم الحص وتصلّب رئيسها حيال دوره، وتقاسمه الشارع والامن مع ميليشيا نبيه بري ووليد جنبلاط، ناهيك بمرجعية امنية طاغية لم يكن من السهل تجاوزها هي غازي كنعان، تصرّف ميشال عون على انه قائد حقيقي للجيش، طليق الارادة والمبادرة والقرار. تجتمع فيه السلطة السياسية الدستورية والقراران العسكري والامني. لم يسع وجود ميليشيا القوات اللبنانية الى جانبه في المناطق المسيحية اجتزاء سيطرته ورقعة انتشاره حتى انفجار حربهما في 31 كانون الثاني 1990.
حمله ذلك منذ اليوم الاول لترؤسه الحكومة العسكرية الانتقالية على اعادة تنظيم الاركان في اليرزة، وقد تفكك معظمها تقريباً بسبب تنوع الانتماء الطائفي لمناصبها الرئيسية، ومغادرة الضباط المسلمين الكبار اياها لملازمة بيوتهم او الانخراط لاحقاً في الوية سامي الخطيب. انهى مواقع رجال امين الجميّل وسيمون قسيس، وعمد الى بناء قيادة مختلفة بعدما احاط نفسه بكل صلاحيات الإمرة العسكرية والامنية، وتبعاً لها، التعيينات اللصيقة بها. عيّن جان فرح نائباً لرئيس الاركان للعمليات مع اشرافه على مديرية العمليات رغم تعيينه شارل عيد على رأسها، عبدالله خوري نائباً لرئيس الاركان للعديد، فؤاد عون نائباً لرئيس الاركان للتجهيز، الياس خليل نائباً لرئيس الاركان للتخطيط. جميعهم مسيحيون. سمّى جورج جبيلي مديراً عاماً للادارة نظير لطفي جابر، وألبر خوري مديراً للافراد، وحلّ عزّت الحداد في مديرية التوجيه خلفاً لرئيسه السابق فيها علي حرب ــــ وكان مساعده ــــ قبل مغادرته اليرزة.



**وثيقة لدى مديرية المخابرات في قيادة اللواء سامي الخطيب عن فحوى اجتماع بين العماد ميشال عون والسفير الاميركي جون مكارثي حيال قصف طاول الجامعة الاميركية في بيروت | للصورة المكبرة**[**انقر هنا**](http://www.al-akhbar.com/sites/default/files/pdfs/20170303/doc20170303.jpg)

بعدما اقصى مدير المخابرات العقيد سيمون قسيس وعيّن محله العقيد عامر شهاب في 26 ايلول 1988، ثلاثة ايام فقط بعد ترؤسه الحكومة العسكرية الانتقالية، اعاد تشكيل رؤساء بعض فروع الاستخبارات العسكرية في الادارة المركزية في اليرزة بادخال رجاله اليها: كرم مصوبع مساعداً لمدير المخابرات وفي الوقت نفسه رئيس فرع العلاقات العامة، فؤاد الاشقر رئيساً لفرع الامن العسكري خلفاً لجورج شهوان احد ابرز معاوني سيمون قسيس، جورج سمعان ثم من بعده انطوان ابوجودة رئيساً لفرع الامن الاستراتيجي. استمر ميشال رحباني رئيساً لفرع الامن القومي منذ حقبة سيمون قسيس قبل ان يقيله ميشال عون بعد اشهر، ويخلفه فايز كرم رئيس فرع مكافحة التجسس والارهاب، وكان بدوره خلف انطوان عبد النور في رئاسته، فاحتفظ فايز كرم برئاستي الفرعين، وعيّن ناجي عساف قائداً للسرية 7021 (التنصت اللاسلكي) خلفاً لطنوس معوض. لزم منصبه من الحقبة المنصرمة مارون ابو ديوان رئيساً للفرع الفني (التنصت السلكي) ثم في ما بعد رئيساً لفرع الامن التكتي خلفاً لنبيل شديد، بينما ترأس توفيق ضوميط فرع الادارة، ومنير عقيقي رئيساً لمكتب الاعلام الملحق بفرع الامن القومي. احتفظ اميل لحود برئاسة الغرفة العسكرية لوزير الدفاع، وعُيّن عادل ساسين قائداً للشرطة العسكرية خلفاً لطارق نجيم. اما رؤساء فروع مديرية المخابرات في المناطق، فاقتصروا على اثنين فقط، هما مَن كانا تحت سلطة ميشال عون في مناطق نفوذه: جوي كحالة في بيروت مستمراً منذ عام 1983 ايام سيمون قسيس حينما كان مساعداً لرئيس الفرع ميشال رحباني قبل ان يخلفه السنة التالية مع انتقال ميشال رحباني الى رئاسة فرع الامن القومي في اليرزة، وجوزف غصن في جبل لبنان الشمالي بعد انفصال جبل لبنان الجنوبي عنه. اما الآخرون في الشمال والجنوب والبقاع فتبعوا قيادة سامي الخطيب. عيّن ايضاً لويس خوري مديراً لمكتبه في قصر بعبدا، وميشال ابو رزق قائداً للحرس الجمهوري.
دوافع تكاد لا تحصى احالت اقصاء سيمون قسيس، وتالياً رجاله، قراراً حتمياً. في ظاهر الاجراء، الانتقال من حقبة تذهب برجالها مع رحيلها كي تأتي التي تخلفها برجالها. فُسّر التصرّف ايضاً بأن عهد امين الجميّل انتهى، وبدأ آخر لم يوحِ صاحبه، رئيس الحكومة العسكرية الانتقالية، بأنه في مهمة موقتة وقصيرة. ذلك ما جعله يستقر في قصر بعبدا واليرزة في آن.
منذ وجوده على رأس قيادة الجيش عام 1984، جمعت ميشال عون بمدير المخابرات علاقة ملتبسة. هو اولاً رجل امين الجميّل في الجيش الذي تجاوز قائد الجيش ابراهيم طنوس ثم يفعل على نحو مماثل معه هو. لم يفارقه كأسلافه يقين بأن مديرية المخابرات تراقبه وتتعقب نشاطاته وتتنصت عليه. كانت تلك حال فيكتور خوري مع جوني عبده، ومن قبل اميل بستاني مع غابي لحود. شكا ابراهيم طنوس بدوره من حال مماثلة. شعر القائد الخلف بتسلل العدوى الى مكتبه، فراح يتوجس من الكلام فيه بصوت عال، واثقاً من اخفاء اجهزة تنصّت فيه، مستعيناً في احاديثه مع زواره بالراديو، يدير موجاته على الموسيقى.
في ظنّ ميشال عون ان مسؤولية رئيس الاستخبارات العسكرية لا تقل عبئاً عن مسؤولية القائد بازاء انهيار السلطة المركزية لرئيس الجمهورية في بيروت في شباط 1984 بعد طرد الجيش من الجبل في ايلول 1983. كتم مدير المخابرات ورئيس فرع الامن العسكري عن قائد الجيش توقّع انفصال اللواء السادس عن إمرة اليرزة وانهيار اللواء الرابع في الشحار الغربي بعد اقتتال عسكرييه بعضهم ضد بعض. كلا الحدثين يدخلان في صلب صلاحيات فرع الامن العسكري، الرقيب على الثكن والافواج والقطع والاستخبار عنها ومراقبة انضباطها والتثبت من ولائها خصوصاً عندما تكون في طريقها الى مهمات خطيرة، كذلك التحقق من احتمال اختراقها وما قد يدور فيها في الخفاء. تأكدت دوافع كافية لاقصاء رئيس الاستخبارات العسكرية من منصبه من جراء عدم توفير المعلومات الامنية الكافية لتفادي هزيمتين عسكريتين متتاليتين، مكلفتين، ما لبث ان دفع ثمنهما ابراهيم طنوس وحده باقالته.

ببرودة لافتة وكثير من الاستخفاف استقبل سليمان فرنجية سامي الخطيب بعدما قابل بفتور تعيين ضابط سنّي في قيادة الجيش. لم يُعِر حديث الخطيب اهتماماً، وأنهى المقابلة على نحو اقرب ما يبدو
الى طرد

تأثراً بسابقتي اميل بستاني عام 1970 واسكندر غانم عام 1975، اضحى المخرج سهلاً ومبرّراً. حتى ذلك الوقت لم يسبق ان أُقصي مدير للمخابرات من منصبه جراء تقصير ارتكبه. شاع في اعراف علاقة رئيس الجمهورية برئيس الاستخبارات العسكرية انه يسمّيه فيُعيّن، الا انهما يرحلان معاً في نهاية الولاية.
في جانب معلن من اسباب اقالته، اتهام ابراهيم طنوس باصدار اوامر بقصف عنيف ومدمّر للاحياء الشيعية في الضاحية الجنوبية. على ان سيمون قسيس انبأه باكراً بانهاء دوره. ارسل اليه في 27 نيسان 1984 بريداً سرّياً برقم 132/ س خ "سرّي للغاية"، ضمّنه معلومات بلغت الى مديرية المخابرات نسبت الى عبدالحليم خدام مواقف ادلى بها في حديث خاص مع بعض مسؤولي منظمة حزب البعث في لبنان، الموالية لسوريا، اورد فيه "اصرار القيادة السورية على وجوب حل القضية اللبنانية انطلاقاً من نقطتين اساسيتين: اولاهما تشكيل حكومة اتحاد وطني برئاسة الرئيس رشيد كرامي بالذات دون سواه، وثانيتهما انشاء لجنة قيادية لاعادة بناء الجيش اللبناني على اسس جديدة".
في البريد السرّي ايضاً ان حافظ الاسد ابلغ الى امين الجميّل في قمتهما الاخيرة في دمشق في 19 نيسان "وجوب ابعاد العماد ابراهيم طنوس عن قيادة الجيش بسبب سياسته التي ادت الى فرز الجيش". وتبعاً للوثيقة نفسها، فإن موقف الرئيس السوري ناقض اقتناع الرئيس اللبناني بـ"تحميل وليد جنبلاط ونبيه برّي مسؤولية هذا الفرز، ورفضه انشاء اللجنة القيادية التي تعني في رأيه اعادة الجيش الى الثكن".
مذ خلفه على رأس القيادة، لم يسع ميشال عون تعيين مدير جديد للمخابرات. استمر كذلك الرجال الرئيسيون المحيطون بسيمون قسيس الى جانبه. بيد انه اكتشف ايضاً ان علاقته بالرئيس لن تكون احسن حالاً. اعتاد الاجتماع الدوري به كل خميس، سرعان ما راح يدعوه الخميس الاسود. يشعر بوطأته قبل الذهاب اليه بالقول: الله يصبّرني. ما ان يخرج من المقابلة ويعود الى اليرزة يتنفس الصعداء امام ضباطه بالقول: خي... ارتحنا .
ساءه مراراً ان يسمع رئيس الجمهورية يخابره بعد اصداره "امر اليوم" في مناسبتي عيدي الاستقلال والجيش كي يقول له: هل اصبحتَ تخاطب اللبنانيين؟ رئيس الجمهورية هو مَن يخاطب اللبنانيين وليس قائد الجيش.
يجيبه: العسكريون وعائلاتهم لبنانيون. انا اخاطب العسكريين كي يسمع اللبنانيون. لا اتحدّث في قضايا عسكرية، بل في توجيهات عامة من حقّ اللبنانيين ان يصغوا اليها. لا بأس اذا سمعوها.
استفزه كذلك تدخّل رئيس الجمهورية في تشكيلات الضباط، اذ يعزو الصلاحية الى كونه القائد الاعلى للقوات المسلحة. في المقابل لم يكن ميشال عون يستبعد ضلوع مدير المخابرات في هذا التدخّل. سرعان ما اضحت العبارة تلك سبباً للاشتباك بين الرئيس والقائد.

جريدة الأخبار

سياسة

العدد ٣١١٨ الجمعة ٣ آذار ٢٠١٧

# لغز مفاضلة إميل لحود قائداً للجيش

﻿**«جيوش لبنان، انقسامات وولاءات»:قصة عسكريين مغامرين [ 3/3]**

*تنشر «الأخبار» اليوم حلقة ثالثة وأخيرة في فصل إعادة بناء الجيش في مرحلة ما بعد اتفاق الطائف بعد تعيين قائد جديد هو العماد إميل لحود. ولاسباب تقنية حُذفت الهوامش المرافقة للفصل. ويوقع ناصيف الكتاب في المهرجان اللبناني للكتاب الذي تقيمه الحركة الثقافية ـ انطلياس في كنيسة مار الياس انطلياس، الاثنين 6 آذار، من السابعة حتى التاسعة مساء*

فجر 24 تشرين الثاني 1989، انتُخب الياس هراوي رئيساً للجمهورية خلفاً لرينه معوض، ووقّع على الاثر، بعدما اقسم اليمين الدستورية في فندق بارك أوتيل في شتورة وسط اجراءات أمنية استثنائية، مرسومي تعيين سليم الحص رئيساً للحكومة وتأليفها.

لم تكن قد جمعت الرئيس الخلف بإميل لحود معرفة سابقة. التقاه للمرة الاولى في المقر الموقت لإقامة الرئيس ومكاتب رئاسة الجمهورية في ذلك الفندق في 26 تشرين الثاني.
قبيل ذهابه الى الاجتماع به، نصحه حسين الحسيني بتجنّب الخلاف معه وأرشده الى التصرّف بمرونة والاصغاء إليه: انه رئيس الدولة. في غرفة صغيرة من طاولة وكنبة، هو مكتبه الموقت، طلب الياس هراوي الانفراد بالمرشح لقيادة الجيش. للتوّ غادر إدوار منصور المكان. أطرى الرئيس بداية على إميل لحود النائب والوزير والمحامي المشهود له بثقافته، عمّ العميد البحري، قبل ان يوجه اليه السؤال الاول: اذا صرتَ قائداً للجيش، مَن تعيّن رئيساً للاركان ومديراً للمخابرات؟
ردّ: قيل لي فخامة الرئيس انك لن تجري لي فحصاً.
قال: كيف؟

ردّ: انا اعرف الضباط، وسنكون في صدد بناء جيش وطني لا تتدخّل السياسة فيه ولا في تعييناته. لن يُعيّن سوى الافضل. ستعرفني عن قرب اكثر في ما بعد. نريد بناء الجيش.

قال: اذن لا تريد ان تقول لي مَن؟
عقّب: عندما اقرّر فخامة الرئيس، نجلس معاً ونتحدّث في الامر. لكن ليس الآن.
سأل الرئيس: ما رأيك في ميشال حرّوق؟
أجاب: من اجل ماذا؟
قال: مديراً للمخابرات؟
ردّ: لا يصلح.
سأل الرئيس: لماذا؟
اجاب إميل لحود: عمل في ظل جوني عبده سنوات، وكان عرّاب مرحلة بشير الجميّل؟
قال: اي لا تريده.
ردّ: هو من احسن الضباط لمناصب اخرى، لكن ليس بالضرورة مديراً للمخابرات.
قال الرئيس: ما رأيك في رياض تقي الدين رئيساً للاركان؟
ردّ: كان ايضاً مع جوني عبده.
ختم الرئيس المقابلة فجأة بالقول: لا لزوم لمتابعة الحديث. انتهى الاجتماع.

في أول لقاء سري بحكمت
الشهابي قال إميل لحود إنه يفضّل إدوار منصور مديراً للمخابرات، فرد: يكفي بيت منصور وزارة الدفاع. ما رأيك في بسام سعد؟

اذذاك انصرف إميل لحود من مكتبه، وكان ادوار منصور لا يزال ينتظره خارجاً. في وقت لاحق اطلع حسين الحسيني وألبر منصور الذي عُيّن وزيراً للدفاع في حكومة سليم الحص على فحوى الاجتماع. لم يكن رئيس الحكومة سليم الحص يعرف، هو الآخر حتى ذلك الوقت، الضابط المرشح لقيادة الجيش. بعد ظهر 27 تشرين الثاني خابر ادوار منصور وسأل: كيف تريدني توقيع مرسوم تعيين قائد للجيش لا اعرفه شخصياً؟ قصد اميل لحود مساء اليوم نفسه منزل رئيس الحكومة في عائشة بكار، وعقد معه اجتماعاً استمر ساعة.

سأله عن رؤيته لتوحيد الجيش واعادة بنائه، فردّ بتحديد اهداف ثلاثة: إبعاده عن السياسة، تنزيهه عن الطائفية والمذهبية، دمج الالوية بعضها بالبعض الآخر بغية إلغاء هويتها الطائفية والمذهبية التي طبعتها سنوات الحرب وتسبّبت في شرذمة المؤسسة العسكرية.
في الجلسة الاولى المقرّرة لتعيين قائد الجيش، 27 تشرين الثاني، تجاوز رئيس الجمهورية اقتراح وزير الدفاع تعيين القائد، وطلب تأجيله الى جلسة ثانية. بعد ارفضاضها دعا الرئيس الوزير الى منزله الموقت، وكان انتقل في ذلك اليوم الى السكن في بيت رئيس فرع البقاع في مديرية المخابرات المقدّم جميل السيّد في بيوت الضباط في ثكنة ابلح، بعدما ضاق ذرعاً في اليومين المنصرمين محاصراً في غرفة فندق.

ابان العشاء قال الياس هراوي لألبر منصور انه يعتزم تعيين قائد سلاح الجو العميد الطيار فهيم الحاج ــ وكانت تجمعه به قربى ــ قائداً للجيش، وهو فاتح دمشق في الامر ووافقت، تبعاً لما قاله. فضّل بادىء بدء العميد جورج حرّوق، الزحلي، احد رموز الحقبة الشهابية ورجال استخباراتها العسكرية. الا انه جُبِه بتحفّظ بادٍ جنّبه تداول اقتراحه مع دمشق جهاراً خشية رفضها له للفور. ردّ ألبر منصور على رئيس الجمهورية انه وعد اميل لحود بالمنصب، وهو غادر المناطق الشرقية وجازف بحياته. أصرّ الياس هراوي على فهيم الحاج، فردّ: كل ما في وسعي القيام به هو الاستقالة من الحكومة. ليأتِ سواي وزيراً للدفاع يقترح فهيم الحاج. لا استطيع التخلّي عن اميل لحود، وقد وعدته.
الحّ الرئيس، فعقّب محدّثه: لا يسعني ان امون سوى على استقالتي.
بامتعاض وانزعاج لم يخفِيا همهمة مسموعة، قال: البارحة تألفت الحكومة واليوم اقبل استقالة وزير الدفاع. لا تمشي الحال هكذا.
تمسّك الياس هراوي باستبعاد اميل لحود، وألبر منصور بتعيينه.



**تقرير سرّي لمديرية المخابرات في الرملة البيضاء عن «الوضع التكتي في المنطقة الشرقية»، مؤرّخ 3 شباط 1990 | للصورة المكبرة**[**انقر هنا**](http://www.al-akhbar.com/sites/default/files/pdfs/20170304/doc20170304_7.jpg)

اليوم التالي 28 تشرين الثاني، اجتمع مجلس الوزراء واقترح الوزير المختص مجدّداً اسم مرشحه، فعيّنه مجلس الوزراء قائداً للجيش ورفّعه الى رتبة عماد بمرسوم دُوِّن بخط اليد. كان الاسم الوحيد المرشح للمنصب. اقترن صدور مرسوم تعيينه رقم 3 بفقرة اولى هي اعفاء قائد الجيش العماد ميشال عون من منصبه وتعيين العميد الركن البحري خلفاً له وترفيعه الى رتبة عماد. بدوره المرسوم رقم 4، اليوم نفسه، اعفى اللواء سامي الخطيب بناء على طلبه من مهمته كقائد بالتكليف للجيش. ورغم انهما ضابطان احدهما يتقدّم الآخر برتبته، اضف انه يشغل منصبه بالاصالة فيما الآخر بالتكليف، بدا لافتاً اتخاذ اجراء ينطوي على تشفٍ وتحقير بوضع ميشال عون في تصرّف وزير الدفاع، وسامي الخطيب في تصرّف رئيس مجلس الوزراء.
افصحت احدى حجج ألبر منصور لدى دمشق لتشجيعها على الموافقة على تعيين اميل لحود قائداً للجيش قوله: على الاقل نأتي بشخص لا يفكر في رئاسة الجمهورية.
أورد العبارة مراراً، وألحقها بأخرى كان يستعيدها باستمرار امام المسؤولين السوريين الذين راحوا هم ايضاً يكرّرونها امام زوارهم اللبنانيين: لا يتعبنا لان لا طموحات لديه.
قال كلاماً مماثلاً في وقت سابق لرينه معوض وحسين الحسيني وسليم الحص، عندما باشروا التفكير في بناء الشرعية الجديدة المنبثقة من تسوية الطائف: ضابط عادي لا طموحات رئاسية لديه. لن يشغل بالنا ويتسبّب في مشكلات. يريحنا جميعاً.
على ان دوافع اخرى عزّزت حظوظ اميل لحود على فهيم الحاج، كانت في صلب موقف دمشق وحسمها المفاضلة بينهما. كلاهما ماروني متني: الاول من بعبدات، والثاني من المروج. منذ ما قبل انتخاب الياس هراوي رئيساً لساعات قليلة، فكّرت دمشق في الضابط الموثوق به الذي يطمئنها في قيادة الجيش. وجدت امامها اسمين متداولين: اميل لحود المرشح الجدّي للمنصب مع رينه معوض، وفهيم الحاج اقترحه الياس هراوي على الرئيس السوري عندما حسما انتخاب نائب زحلة رئيساً للجمهورية وتداولا خيارات الحكم الجديد. كلا الاسمين مقبولان يحظيان برضاها. بيد انها في صدد المفاضلة بينهما. بضعة مبرّرات تتيح اختيار فهيم الحاج، الضابط الطيار الذي خبره المسؤولون السوريون قبلاً قائداً للقاعدة الجوية في رياق ثم قائداً لطلائع الجيش العربي اللبناني. أرسى علاقات وطيدة مع الاركان السورية وخصوصاً رئيسها العماد حكمت الشهابي ما بين عامي 1976 و1977، وصادقوه. طمأنتهم خياراته الوطنية ونجاحه في جمع عسكريين مسيحيين ومسلمين في بوتقة واحدة، وإخلاصه في التعاون معهم. على ان المفاضلة قادت الى الاسم الاكثر جاذبية في المناطق المسيحية وسهولة في السيطرة عليه، القادر في الوقت نفسه على فتح قنوات تواصل محتمل مع ضباط يأتمرون بميشال عون، وآخرين يناوئونه لا يزالون يقيمون في المناطق الشرقية لم يلتحقوا به. ناقش رئيس جهاز الامن والاستطلاع في القوات السورية العميد غازي كنعان الخيارات مع احد ابرز الضباط اللبنانيين ممن هو على تواصل وتعاون سياسي وامني يومي معه، رئيس فرع البقاع في مديرية المخابرات المقدّم جميل السيّد. قال: انت تعرف ان الياس هراوي يريد فهيم الحاج قائداً للجيش، وطرح اسمه على الرئيس الاسد عندما زاره سرّاً اليوم (23 تشرين الثاني). يسألني سيادة الرئيس رأيي في اسمَي فهيم الحاج واميل لحود المطروح ايضاً، ويريد تبريراً لكل منهما. اضاف: فهيم الحاج قدّم للبلد ولنا ونحن مدينون له، وهو وطني صمد. اميل لحود اسم ملائم رغم اننا لا نعرفه تماماً. لكن كل ما يقال لنا عنه يطمئن ويريح. بين المروج وبعبدات فشخة. ما الحجة التي تعتقد انها ترجح كفة احدهما على الآخر لتعيينه قائداً للجيش كي انقلها الى الرئيس ويقتنع به؟
ردّ جميل السيّد: انا اعرف فهيم الحاج وعملت معه في الطلائع، ولا اعرف عن الآخر سوى ما تسمعه انت واسمعه انا عنه، وعن عائلته وبيته الوطني. السؤال هو ماذا نريد من قائد الجيش في المرحلة المقبلة؟
ردّ: قل.

عقّب: نريد قائداً يعيد جمع العسكريين المسيحيين والمسلمين. قد تجدون انفسكم في مرحلة معيّنة في حاجة الى عمل عسكري ضد العماد ميشال عون. المحسوب على سوريا لن يخدمكم كثيراً، بينما قائد الجيش الذي لا يعرفها ابداً وأمضى حياته في المنطقة الشرقية قد يكون أسلَم لجمع الجيش وتوحيده. قد يقولون عن فهيم الحاج اذا عُيّن انه رجل سوريا لانكم تعرفونه وتعاونتم معه وصديقكم منذ سنوات، بينما لا يقال ذلك عن اميل لحود الذي لا يعرفكم. يصل الى قيادة الجيش من بيته السياسي والوطني وليس من طريق سوريا. الاول صبغته سورية لا تجعله يستقطب المسيحيين والموارنة ولا عسكريي ميشال عون، بينما لا صبغة سورية على الثاني. هما متساويان، الا ان الصبغة السورية تؤذي فهيم الحاج لا اميل لحود.
ردّ: كمشتها.

امسك غازي كنعان للفور بسماعة الهاتف وخابر الرئيس السوري، وعرض له المفاضلة التي ادلى بها جميل السيّد.
ضحك لبرهة، ثم اقفل السماعة.
سأله الضابط اللبناني: ماذا؟
اجاب: قال لي الرئيس الاسد ان اقول لك ان الحق معك. اتكل على الله. انه اميل لحود.
كانت المفاضلة محصورة. تحتاج الى قدر قليل من التبرير المقنع كي تغلّب اسماً على آخر. عوض ان تكون الصبغة السورية عنصراً ايجابياً لترجيح كفة فهيم الحاج، اضحت عنصراً سلبياً يُسجَّل لإميل لحود كي يؤول المنصب اليه.
مذ صدر مرسوم تعيينه قائداً للجيش، باشر إميل لحود مهماته بانتقاله في اليوم نفسه، 28 تشرين الثاني، إلى القاعدة الجوية في ثكنة رياق واتخذها مقراً موقتاً لقيادته. يوماً تلو آخر راح يستدعي قادة الالوية العسكرية الستة في بيروت الغربية والجنوب والبقاع والشمال وقسم من جبل لبنان، بعدما آلت إمرتها اليه، للتعارف والاطلاع على اوضاع الثكن والقطع والمنشآت، واستكشاف حاجاتها الى العديد والعتاد. في تلك الاثناء ــ وهو لمّا يزل في المقر الموقت في قاعدة رياق مطلع كانون الاول 1989 ــ قصد يرافقه فادي ابوشقرا دمشق واجتمع للمرة الاولى سرّاً برئيس الاركان العماد حكمت الشهابي. حتى ذلك الوقت كان عرف ضابطاً سورياً واحداً فقط هو علي حمود اجتمع به في 22 تشرين الثاني. في ما بعد استقبل القائد الجديد عدنان بلول مساعد غازي كنعان.
في ذلك الاجتماع السرّي في دمشق، ناقش مع حكمت الشهابي طويلاً دوره والمهمات التي تنتظر الجيش، والطريقة التي يريد ان يقارب بها عمل المؤسسة العسكرية في المرحلة الجديدة، وصولاً الى فريق عمله فيها.
سأله: مَن تفكر في مديرية المخابرات؟
بعدما امتنع عن الافصاح لرئيس الجمهورية حينما استقبله، عشية تعيينه، عن مرشحه لمديرية المخابرات، لم يتردّد في الجهر امام حكمت الشهابي بالاسم: إدوار منصور. اعرفه منذ زمن بعيد. يفهم احدنا على الآخر تماماً.
ردّ: يكفي بيت منصور وزارة الدفاع. ما رأيك في بسام سعد؟
لم يعثر على جواب للتوّ.
بيد انه التقط الاشارة الواجبة: لا تكتفي دمشق بالتحفّظ عمَن لا يرضيها، بل لها الحق في ترشيح اسم.
عنت الاشارة كذلك، ان لا تسمية لمدير المخابرات ــ كما لسواه في الاركان ــ دونما استمزاجها رأيها، او في احسن الاحوال اختيار ضابط عرفته عن قرب.
في بضعة احاديث خاصة سابقة، أسرّ إميل لحود الى رفيقه في البحرية إدوار منصور برغبته في تعيينه على رأس الاستخبارات العسكرية، كي يظل قريباً منه.
أتبع الزيارة السرّية الاولى باثنتين اخريين طيلة مكوثه في القاعدة الجوية، عاد منهما بتأكيد الاركان السورية له وقوفها الى جانبه في مهماته. اكتنف الغموض موقف دمشق مجدّداً من الاركان التي يعتزم القائد الجديد للجيش احاطة نفسه بها، من غير ان تُخطَر بها سلفاً. عندما استقبل وفداً عسكرياً سورياً ترأسه قائد غرفة العمليات الوسطى للقوات السورية في جبل لبنان اللواء عزت زيدان ــ وكان غازي كنعان في عداده ــ مهنئاً إياه بمنصبه، ساورته شكوك في ان يحمل اليه الوفد إيعازاً من قيادته يفرض عليه تسمية عدد من الضباط القريبين من دمشق في مواقع امنية اساسية.
حينما سئل عن تعيينات مديرية المخابرات التي يتحضّر لها، سارع على الفور الى القول انه في صددها، لكن على طريقته، موحياً بجزم بانه هو مَن يقرّر اسماء ضباطها.
سأله عزت زيدان عنهم، فاجاب: لا أزال أبحث في الاسماء.
بعدما لزم قاعدة رياق من 28 تشرين الثاني 1989 حتى 22 كانون الاول، عزم القائد الجديد على الانتقال الى بيروت. كان سبقه رئيس الجمهورية في قرار مغادرة المنزل الذي يقيم فيه في ثكنة ابلح والانتقال بدوره الى العاصمة كي يدير الحكم منها، في عمارة رفيق الحريري في الرملة البيضاء، على بعد امتار من المقر الموقت لقيادة الجيش. في اليوم الـ43 من إقامته في ثكنة ابلح، 6 كانون الثاني 1990، انتقل الرئيس الى بيروت. حتى ذلك الوقت اقام وزير الدفاع ألبر منصور، كإميل لحود، في نادي الضباط في القاعدة الجوية في رياق، واتخذ منه مكتباً وبيتاً. منذ اليوم الاول لانبثاقهما أقامت الشرعيتان السياسية والعسكرية في مقار مستعارة.

عوض ان تكون الصبغة
السورية عنصراً ايجابياً لترجيح كفة فهيم الحاج قائداً للجيش، اضحت عنصراً سلبياً يُسجَّل لاميل لحود كي تختاره دمشق

كان العبء اكثر ثقلاً على قائد في مكان وأركانه وثكنه وقطعه في مكان آخر. راح ضباط الاركان في الرملة البيضاء يتلقّون اوامره في رياق بالبرقيات والمكالمات الهاتفية على صعوبة الحصول عليها، ناهيك ببريد عسكري يومي يتنقّل براً، قاطعاً مسافات طويلة منهكة ما بين البقاع وبيروت، عابراً بلدات وطرقاً مقطعة الاوصال او في مرمى نيران الخصوم، اضف مجازفة التعرّض لهجوم مباغت وتعريض البريد السرّي للسرقة، ما ارغمهم على احاطته باوسع سرّية متاحة.
في حمأة اشتباك شرعيتين متناحرتين وانتظار اوان اطاحة ميشال عون واستعادة وزارة الدفاع في اليرزة منه، ادرك قائد الجيش ان عليه في مرحلة اولى ان يرث تركة سامي الخطيب في قيادة الالوية التي تأتمر به. سلّم بوجود نبيه فرحات مديراً للمخابرات، وبالنواب الاربعة لرئيس الاركان سعيد القعقور وغسان ضاهر ورياض تقي الدين وجوزف القش، واكتفى بأن ضم الى فريقه الضابطين الموثوق بهما منه صديقيه فادي ابوشقرا وادوار منصور ــ وكانا لازماه منذ وجوده في رياق ــ الى عدد قليل من ضباط آخرين يعرفهم عن قرب أدمجهم في الفريق الجديد، كوفيق شقير عيّنه مديراً لمكتبه ومصطفى حمدان وامين حطيط، ناهيك بضابط آخر موثوق به لديه عرفه مذ كان مديراً للافراد فعمل في ظله، هو سالم بوضاهر.
عنى ذلك بالنسبة اليه ان اعادة بناء المؤسسة العسكرية مؤجلة. بيد انه فاجأ نواب رئيس الاركان بالقول لهم ما ان استقر في المقر الموقت للقيادة في بيروت: لستم اركاني وانا لا اعترف بتعيينكم.
اقرن القول بالفعل بأن طلب منهم التوقف عن توقيع البريد كي يتولاه هو نيابة عنهم، وهو يدخل في صلب صلاحياتهم، إشعاراً منه لهم بأن وجودهم الى جانبه هامشي، لا يعيره اهتماماً وجدّية. وضع القرار بين يديه تماماً، من غير ان يعوّل على اقتراحاتهم ما خلا اصغاءه الى ادوار منصور وفادي ابوشقرا فحسب. لم يتردّد في تمزيق تقارير الضباط الاربعة الكبار، وكذلك مذكرات الخدمة ما ان تصل اليه، ويستبدلها بأخرى. أحجم عن تكليفهم مهمات، فلم يعد في وسعهم ان يعرفوا ما يفكر القائد في القيام به او القرارات التي يُعدّ لها، وقصر علاقته بهم على تعامل واقعي بارد غير مجدٍ حتى اطاحة القوات السورية ميشال عون عام 1990 وإخراجه بالقوة من اليرزة وقصر بعبدا. بدا انه ينتظر هذا اليوم كي يبدأ دوره حقاً، ويتخلّص من التركة هذه. بانتقاله الى المقر الآخر الموقت لقيادة الجيش في الرملة البيضاء، اتخذ من الطبقة الثالثة مكتباً تجاوره غرفة منامة له، هو المكتب الذي شغله مدير المخابرات نبيه فرحات الذي هبط الى الطبقة الثانية. بتدابير امنية استثنائية احاط إميل لحود اقامته الموقتة. ما ان ينتهي دوام العمل يقفل باب مكتبه الموصول بغرفة نومه منذ ما بعد الظهر او المساء من الداخل. خصّ فادي ابوشقرا من دون سواه باحد مفتاحي المكتب، بينما احتفظ هو بالآخر. في الصباح يفتح عليه الباب كي يوقظه.

جريدة الأخبار

سياسة

العدد ٣١١٩ السبت ٤ آذار ٢٠١٧